الإصلاح الحسيني في ضوء نظرية التقدم دراسة تاريخية فلسفية

م. د. عباس محيسن حريجه سلمان اللامي
وزارة التربية/ مديرية تربية محافظة ميسان

dr.amh١٩٨٥@gmail.com

الملخص

الإصلاح الحسيني في ضوء نظرية التقدم قد يتضمن عدة جوانب منها التأكيد على التفكير النقدي: يمكن تعزيز التفكير النقدي والفلسفي في فهم الدين وتطبيقه و هذا يشجع على مراجعة الفهم التقليدي للدين والبحث عن تفسيرات جديدة ومحسنة و تعزيز قيم العدالة والمساواة: من خلال التأكيد على قيم العدالة والمساواة في الدين والمجتمع، يمكن تحسين التفاهم بين الأفراد وتحقيق التقدم في مجال حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية كذلك التعامل مع التحديات الحديثة: يمكن للإصلاح الحسيني أن يبحث في كيفية التعامل مع التحديات الحديثة والقضايا المعاصرة بما يتوافق مع القيم الإسلامية الأصلية و التشجيع على التواصل الثقافي: من خلال التعاون والحوار بين الثقافات والأديان المختلفة، يمكن تعزيز فهم مشترك والتسامح والتقدم وإصلاح الحسيني يُعتبر تيارًا هامًا في تطوير الفهم الإسلامي والتطبيق الديني، ويمكن أن يساهم بشكل كبير في تعزيز التقدم والتفكير النقدي داخل العالم الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الاصلاح الحسيني، نظرية التقدم، دراسة تاريخية فلسفية.

Husseini Reform in the Light of the Theory of Progress A Historical-Philosophical Study

Dr. Abbas Muhsin Hariga Salman Al-Lami

Educator at the Directorate of Education in Maysan

dr.amh١٩٨٥@gmail.com

Abstract

Husseini reform in the light of the theory of progress may encompass several aspects, including an emphasis on critical thinking. Enhancing critical and philosophical thinking in understanding and applying religion encourages the revision of traditional understandings of religion, the search for new and improved interpretations, and the promotion of values of justice and equality. By emphasizing justice and equality in religion and society, better understanding among individuals can be achieved, along with progress in the fields of human rights and social justice. Additionally, dealing with modern challenges is essential. Husseini reform can explore how to address contemporary challenges and issues in line with the original Islamic values. Furthermore, it encourages cultural exchange through collaboration and dialogue among different cultures and religions, fostering mutual understanding, tolerance, progress, and Husseini reform is considered an important movement in developing Islamic understanding and religious practice. It can significantly contribute to promoting progress and critical thinking within the Islamic world.

Keywords: Husseini Reform, Theory of Progress, Historical-Philosophical Study.

المقدمة

تناول المؤرخون والباحثون الثورة الحسينية بمختلف جوانبها كلٌ بحسب تخصصه وفكره وثقافته والخلفيات الفكرية والعقدية التي يحملها والاتجاه الذي يتبناه بالعديد من الدراسات والابحاث التاريخية العلمية الاكاديمية، ولكن القليل منها ما تم دراسته على وفق المفهوم الفلسفي أو في ضوء نظرية فلسفية بمعنى يعمل اسقاطاً فلسفياً عليها، والدراسة هذه هي واحدة من تلك الدراسات التي سوف تتناول الثورة الحسينية، وتحديداً جزئية ومفهوم الإصلاح الحسيني في الإطار الفلسفي وعلى وفق نظرية التقدم الغربية التي بلا شك تشير إلى عملية تطويرية تغيرية نحو الأمام لبناء الإنسان والمجتمع معاً بناءً حضارياً وإنسانياً وثقافياً.

ولعل في مقدمة عوامل اختيارنا لنظرية التقدم دون غيرها هو لفلسفة التقارب المنهجي بين الاثنين والتقاء الهدف والغاية بينهما كون شعارهما تقدم الإنسان نحو الأمام وتحريره من كل العوائق التي تقف عثرة حجر بطريقه للوصول إلى المراتب الإنسانية العليا في السلم الحضاري، فضلاً عن سعة المدى التاريخي الإصلاحي الذي تبنته الثورة الحسينية واتصافه بالشمولية والتغيرية العامة التي لا تقتصر على جانب معين أو تتحدد بإطار ضيق وهو ما تنظر له فلسفة نظرية التقدم.

فرضية الدراسة

الدراسة تبحث في محاولة جادة عن تأطير الثورة الحسينية بالإطار التنظيري للفلسفة محاولةٌ منها لبحث الثورة في حدود نظرية التقدم وإيجاد النصوص التاريخية للثورة تلك التي تتطابق مع المضامين الفلسفية للنظرية واستخراج العامل المشترك والمتطابق بينهما الذي يسهم في بناء وتقدم الإنسان وانتشاله من مستنقع الجهالة والتخلف والتسلط وسلب الإرادة التي تريد السلطة الأموية لهُ ذلك.

منهج البحث

أعتُمد في دراسة هذا الموضوع منهجين أساسين، الأول: سردي تاريخي من خلال أيراد الروايات التاريخية للثورة الحسينية أو الدولة الأموية ومحاولة ربطها بمحتوى الدراسة، أما المنهج الثاني فهو المنهج التحليلي من خلال تحليل وتفكيك النصوص التاريخية وتطبيقها على النصوص الفلسفية سواء لنصوص النظرية التقدمية أو لنصوص الفلسفة الإصلاحية وإيجاد أوجه التقارب والتشابه بينهما.

هيكلية البحث

فرضت طبيعة الدراسة والمادة العلمية المتوفرة تقسيمها على ثلاث مباحث مسبوقة بمقدمة ومختومة بخاتمة لاستخلاص أهم النتائج، المبحث الأول كان عنوانه: مفهوم الإصلاح فلسفياً، تناول المفهوم الفلسفي والاصطلاحي للإصلاح مع تطبيقات تاريخية للإصلاح الحسيني، على حين ركز المبحث

الثاني على نظرية التقدم الحضاري من حيث فلسفتها وعواملها وماهيتها وفي ماذا تبحث وآراء فلاسفة ومنظري الغرب فيها مع متقاربات تاريخية للثورة الحسينية، فيما كان نصيب المبحث الثالث هو الإصلاح الحسيني فلسفياً من حيث مضمونه وتاريخه وحدوده المعرفية والفلسفية والتاريخية مع بعض المتقاربات الفلسفية ذات الصلة بالموضوع.

المبحث الأول

مفهوم الإصلاح فلسفياً

أن مفهوم الإصلاح في إطاره الفلسفي ودائرته التغيرية ذو مضامين ومعطيات متعددة ومتباينة وتشمل مختلف نواحي الحياة، ويعد تصحيحاً لمختلف السلوكيات والانحرافات سواء الاجتماعية أو السياسية أو الدينة أو حتى الاقتصادية والفكرية في المجتمعات البشرية عامة، ويشير أحد الباحثين الى أنه ليس من الدقة النظر للمعنى اللفظي لمفردة إصلاح؛ لأنه يذهب إلى معان مختلفة ولكن من الاصوب «أن تنظر إلى مضمون المصطلح أي إلى مفهومه وليس لفظ، عندما يراد منه في نسقه الذي استعمل فيه ووظف عندئذ ستجد أن دلالات الإصلاح(التجديد ـ التطوير ـ الثورة)كانت تتلاقى أو تتداخل... في فكر حركة الإصلاح...» (اليافي، حركة الإصلاح: ١٣)، وهنا يشير الباحث إلى أن الإصلاح بالمعنى اللفظي يعطي مضموناً قد يختلف عن فلسفته في الجانب الاجتماعي أو حتى الفلسفي التقدمي والذي يشير إلى مفهوم التغيير بطرق عديدة منها الثورة والتطوير والتجديد والتقدم، وفي هذا المضمون تحركت ثورة الإمام الحسين(عليه السلام).

وفي السياق نفسه ركزت الثورة الحسينية في حركتها التاريخية على فلسفة الإصلاح التي تعد المنطلق الأساس لها والشعار الرسمي لمضمونها والمبادئ الأسس لمتبنياتها، والتي أوضحت جوهر الثورة وفلسفتها بقول بطلها ومحرك احداثها الإمام الحسين(عليه السلام): «أني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت أطلب الصلاح في أمة جدي محمد أريد آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو أحكم الحاكمين» (ابن شهر اشوب، مناقب ال أبي طالب، ج٣: ٢٤١)، ويمكن تفسير هدف الإمام(عليه السلام) الإصلاحي بانه يشتمل على عدة من معطيات منها إصلاحات سياسية واجتماعية وفكرية أيضاً وكل تلك الإصلاحات لاشك تسهم في التقدم الحضاري للمجتمع، وفيها يبين الإمام الحسين(عليه السلام) معالم مشروعه الإصلاحي وأنه يهدف منه إصلاحاً عاماً لكل الاحرار، بغية تحريرهم من سطوة الظالمين، وبعيداً من المزايدات السياسية أو الصفقات المشبوهة بل الهدف التعايش السلمي ومخاطبة الضمائر الحية.

ولتحليل مفهوم الإصلاح الحسيني من الناحية الفلسفية والحضارية، لابد من الاستعانة بجملة من الايضاحات والآراء والنظريات لبعض الفلاسفة والمفكرين الذين تعرضوا لبيان هذا المفهوم وحددوا طبيعته وماهيته، وعلى ماذا يشتمل؟ ففي هذا الشأن

يشير المفكر جاكلين روس إلى المساحة التي يتوجه إليها الإصلاح ، ولاسيما عندما كانت سلطة الكنيسة في العالم الغربي آنذاك تقيد الحريات وتستبد بسطوتها بقوله: «الإصلاح توجه إلى ضمير كل إنسان وليس إلى سلطة الكنيسة » (مغامرة الفكر الاوربي:١١٦)، في ضوء هذا المفهوم فالإصلاح ليس محدد لجهة معينة أو فئة دون أخرى أو لجنس أو عرق معين، وإنما موجه في نظر مصلحه إلى ضمير كل إنسان حر، وهذا ما كانت تهدف إليه الثورة الحسينية من أن إصلاحها عام وليس محدداً لجانب معين و لبلد محدد و لجنس مشخص بذاته.

ومن مستلزمات الإصلاح أيضاً هو تحرير العقل من كل قيوده الفكرية والاستبدادية ولاسيما أن الدولة الأموية قد قيدت كل المفاهيم العقلية من خلال فرض أيدولوجيتها على الشعوب الواقعة تحت سيطرتها، وفي هذا الإطار فقد أشار المؤرخ جيزوه (١٧٨٧ـ ١٨٧٤م) وهو يوضح فلسفة الإصلاح الديني آنذاك في أوربا تجاه التخلف والتجهيل المجتمعي آنذاك بقوله: «وكان الإصلاح البروستنتي خطوة نحو تحرير العقل...»(ويد جيري، التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢:١٥١٩م). وفي ضوء ذلك يكون أحد مفاهيم الإصلاح الذي أرادته الثورة الحسينية هو تحرير العقل وفتح افاقه التحررية كي ينتج حركة تقدمية الى الأمام في بناء المجتمعات.

المبحث الثاني
نظرية التقدم الحضاري: فلسفتها وعواملها

أولاً / فلسفتها

تطرق الفلاسفة والمفكرون إلى تعريف ماهية نظرية التقدم وماذا تعني؟ وما فلسفتها؟، وذلك على وفق الايديولوجية والخلفية سواء الدينية أو الفكرية و السياسية والاقتصادية التي يعتقدونها، وقد عرفها الفيلسوف الالماني عمانوئيل كانت بقوله: «أننا لو استعرضنا تاريخ الجنس البشري كمجموعة لوجدناه يتجه إلى تحقيق خطة خفية للطبيعة تستهدف اقامة نظام سياسي يتيح التطور لكل الامكانيات والطاقات التي وهبتها الطبيعة للناس تطوراً كاملاً ولولا هذا التطور والتقدم إلى الأمام لكانت جهود المدنيات المتعاقبة أشبه شيء بما حدث إلى (سيفيوس) الذي حاول الصعود إلى قمة الجبل رافعاً بين يديه حجراً كبيراً مستديراً، وكلما أوشك على بلوغ القمة أفلت الحجر منه وتدحرج إلى الوادي ليبدأ سيفوس مرة ثانية في رفعه من جديد، ولو لم يتجه التاريخ في سيره نحو تحقيق هذه الغاية التي تهدف اليها الطبيعة لكان سخفاً يدور في حلقة من السخافة لا تنتهي...» (ديورانت، قصة الفلسفة:٣٦٢).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن كانت كان يؤمن بأن التقدم والتطور الحضاري الإنساني يسير على نحو متدرج وعلى مراحل محددة، مستشهداً بالمدنيات

السابقة التي هي امتداد للتطور اللاحق للمجتمعات بغية الوصول إلى القمة ـ وهو بالتطور الكامل ـ ويكون هـذا التقدم نابعاً من الحركة المستمرة في استغلال الطبيعة واستثمارها وتوظيفها لخدمة بناء الإنسان وتقدمه وتطوره ورقي مجتمعه، واقترب من هذا المعنى كثيراً الفيلسوف وليم جيمس حينما دعا إلى العمل والمثابرة المستمرة وجعل الآمال تتجدد وتتفتح أمام الإنسان لمواصلة نشاطه وتطوره بقوله : «أن نفتح عقولنا لكل أمل جديد...» (ديورانت، قصة الفلسفة: ٦٢١) وفضل الفلسفة التي تدفعنا إلى التفكير في المسائل التي تحسن أوضاعنا وحياتنا ومجمل اعمالنا في الارض وهو بهذا يشير إلى عمارة الارض واستثمارها (بتصرف قليل، ديورانت، قصة الفلسفة: ٦٢٢).

على حين وصف الفيلسوف الامريكي جون ديوي الحياة بأنها مستمرة ومتطورة ونامية وأن «النمو والتطور أعظم الاشياء وافضلها واجدرها بالاحترام والتبجيل، وقد جعل من النمو والتطور مقياسه الأخلاق ي... والكمال ليس هدفاً نهائياً، والهدف في الحياة هو عملية مستمرة نحو الكمال والتصفية والتنقية...» (ديورانت، قصة الفلسفة: ٢٢٩)، في حين عرفها كل من المفكر الانكليزي هربرت سبنسر والمفكر الامريكي لويس هنري مورجان بأنها «تغيير هادف وعملية بطيئة ومطردة بثبات وتتكشف على نطاق عالمي...» (الحضارة الغربية:٣٤)، وأشارا أيضاً الى انها «عملية التحول من الوضع البدائي الطبيعي إلى وضع أكثر تقدماً...» (الحضارة الغربية:٢٣) فيما عدّ هنس زند كولر الباحث الالماني أن:»التاريخ يجري في خطوات تقدم، فتقطع الإنسانية تطوراً خلقياً من وضعية توحش تسود فيها عواطف بدائية وخالية من التفكر، تحدد سلوك الإنسان إلى وضعية مدنية يعمل الإنسان خلالها بالاستناد إلى تدبر غائي لذلك فالبشر يصبحون قادرين على العيش معاً عيش الاعضاء المسالمين...» (المثالية الالمانية: ٧٢ـ٧٣) وهنا لابد من الاشارة إلى أن الثورة الحسينية قد ركزت في برنامجها الإصلاحي على المفاهيم الأخلاق ية السامية أيضاً.

وتطرقت الداروينية الاجتماعية إلى أثبات فلسفة التقدم على نحوها الطبيعي من «أن جميع الموجودات ابتداءً من الكائنات العضوية الحيوية حتى المجتمعات البشرية تقدمت تقدماً طبيعياً من الادنى إلى الارقى أو إلى أكثر الاشكال تقدماً...» (باترسون، الحضارة الغربية:٣٦)، فيما ذكر أحد الباحثين أن أغلب منظري نظرية التقدم وفلاسفتها أشاروا إلى «فلسفة متفائلة ترى أن الكمال البشري غير محدود، وأن تاريخ البشرية يمر بمسار تقدمي تتطور خلاله معرفة الإنسان، وتقترب شيئاً فشيئاً نحو الهدف النهائي للمجتمع البشري وهو تحقيق الحرية والكمال والسيطرة على التامة على الطبيعة « (الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ: ٢٤٨).

ثانياً / عواملها وأسبابها :-

حدد الفلاسفة والمفكرون مجموعة من العوامل والاسباب والمقدمات التي لها الاثر الكبير في عملية

التقدم، وفي جميع المستويات، على أن هؤلاء الفلاسفة قد اختلفوا في افضلية وترجيح وفاعلية بعض العوامل على الاخرى، وهذا ناتج من أهمية تلك العوامل والفلسفة التي يؤمنوا بها فضلاً عن ظروف وارهاصات العصر الذي عاشوا فيه، لذا ذهب الفيلسوف الانكليزي الفرد نورث هوايتهد (١٨٦١م – ١٩٤٧م) إلى أن الدين يعد المحرك الأساس لعملية تطور المجتمعات وتقدمها لقوله «أن ظهور الدين... كان مشروطاً بالتقدم العام للشعوب التي تطورت فيها تلك الديانات...» (كيف يتكون الدين: ٣٢)، والابعد من ذلك انه يعد الدين مصدراً أساساً للتقدم بقوله: «يمكن للدين أن يكون مصدراً للتقدم » (كيف يتكون الدين: ٢٨)،ولا شك في أن الثورة الحسينية كانت في مجمل حركتها واهدافها وعوامل قيامها ذات طابع ديني إيماناً منها بفاعلية الدين في إحداث التغيير والتطوير المجتمعي للناس كافة ونشير هنا إلى كتاب الإمام الحسين(عليه السلام) لأهل الكوفة وهو يؤكد أهمية تفعيل الدين في ثورته بقوله «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) فان السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله» (الطبري، تاريخ، ج٤: ٢٦٦)، وهنا يرى(عليه السلام) بأن الدين أمر ضروري للوصول إلى ألطريق القويم والاستقامة والرشاد كي يتقدم المجتمع نحو الصلاح والخير.

على حين عبر عن هذا المضمون في بعض جوانبه المفكر الانكليزي فرنسيس بيكون(١٥٦١ـ ١٦٢٦م) بقوله: « لقد وهبنا الله أرواحاً تساوي جميع العالم، وكل شيء ممكن بالنسبة إلى الإنسان، إن الزمن شاب، اعطنا بضعة قرون من السنين، وبذلك سنعود ونعيد بناء كل شيء، وقد نتعلم على الاقل أنبل وأعظم درس في الحياة وهو ألا يحارب الإنسان أخاه الإنسان ويشن الحرب فقط على العقبات والعراقيل التي تحول بين الإنسان وانتصاره على الطبيعة...» (هنتر ميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها: ١٨٠).

وعند تحليل هذه المعطيات التي أشار إليها فرنسيس يستشف منها عدة من نقاط جوهرية تسهم في فهم التقدم الحضاري وماهيته منها: أن حركة التاريخ تسير نحو الأمام في طور الاكتمال والبناء دون تراجع، و دعا بيكون إلى ضرورة ترك الحروب كونها تسهم في اعاقة التقدم والبناء لما لها من نتائج سلبية في هذا الشأن، وشدد أيضاً على أن يتجاوز الإنسان كل الاشكالات والمحن والمعرقلات في سبيل تقدمه وتطوره وأن لا تكون تلك العراقيل سبباً في ايقافه أو محدوديته الفكرية والمستقبلية.

وأشار الفيلسوف الانكليزي ألبان ويد جري إلى ضرورة توافر عاملي الحرية والعدل كي يتقدم المجتمع نحو الأمام «إذ يتوقف التقدم توقفاً جوهرياً على الحرية وتحقيق العدل...» (التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢:٩٢). ويتفق مع هذا الرأي الكاتب والباحث الفرنسي أنطوني دي كرسبني بقوله: «أن الحرية... تستمد قيمتها من كونها قوة تدفع بالمجتمع إلى الأمام...» (فلاسفة السياسة: ٤٨). ولهذا نجد فلسفة شعارات الثورة الحسينية قد أكدت بوضوح مبادئ

الحرية وجعلتها من أولويتها وعواملها الأسس؛ نتيجة للاستعباد السياسي الذي مارسته السلطة الأموية آنذاك، لذا رفع الإمام الحسينعليه السلام شعار الحرية عالياً منددأ بكل بواعث التقييد والاستعباد السلطوي بقولهعليه السلام: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد» (المفيد، الارشاد، ج٢: ٩٨؛ ابن شهر اشوب، مناقب ال أبي طالب، ج٣: ٢٢٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤: ١٩١).

على حين قيدت النظرية الماركسية عوامل التقدم وحصرتها بالأسباب الاقتصادية المادية، كونها تشير أن «الناس في التاريخ إنما تدفعهم وتحددهم القوى الاقتصادية تحديداً لا مفر منه» (ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢:١٠٧)، ويذكر لوبون أن فلسفة المذهب المادي التاريخي تشير إلى أن العوامل الاقتصادية هي جوهر جميع الحضارات...» (فلسفة التاريخ: ١٩١)، وشخص الكاتب الأمريكي توماس باترسون أن العوامل الخُلقية والاجتماعية والفكرية تعد عواملاً جوهرية في عملية رقي المجتمعات وتطورها، وأن هذه العملية تحصل «بفضل التقدم الأخلاق ي والفكري والاجتماعي... وأن الحياة الراهنة أرقى على نحو أوضح من الحياة في الزمن الماضي، وأن التغيير عملية تراكمية وتسير باتجاه واحد...» (الحضارة الغربية:٢٣)، ويتفق أيضاً مع جملة من المفكرين في غرب أوربا وفي الولايات المتحدة في «أن تفوق الحضارة نتاج العملية الطبيعية للتطور الاجتماعي» (الحضارة الغربية:٣٤).

وقد بحث الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت(١٧٩٥ـ١٨٥٧م) في المقدمات التي تؤثر في عملية التقدم وعلى نحو دقيق وتحديداً العوامل ذات الطابع العلمي والأخلاق ي، فتوصل إلى أن «التاريخ يتقدم من احوال الحرب إلى احوال الصناعة السلمية فانتشار التفكير الجماعي العلمي والصناعة في التاريخ الحديث يحمل البشرية أماماً نحو السلام الشامل، فالهدف المركزي للجهود البشرية هو التحسن الخلقي، كما أن الخلق القويم ينبغي أن يفهم على أنهُ العيش من أجل الاخرين...» (ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢:١١٠) وهنا دلالة واضحة على أن نشر السلام والوئام بين البشرية يسهم في تقدمها وازدهارها في جميع مجالات الحياة الاخرى لذا على المجتمعات البشرية اذا ما أرادت أن تتقدم وتتطور أن تجنح للسلم والسلام وتترك الحروب والمشاكل العسكرية والسياسية؛ كونها من معوقات التقدم ومن أوضح أسباب التأخر المجتمعي والحضاري، وهذا نجده واضحاً في فلسفة رفض الإمام الحسينعليه السلام أن يبدئ الخصم بالقتال والحرب؛ لأنهُ رجل إصلاح بالدرجة الأولى يسعى إلى تقدم المجتمع إنسانياً لا عسكرياً، ومثال ذلك نجده حينما قال له أحد قياديه وهو زهير بن القين بضرورة البدء بالقتال بقوله: «إني والله ما أراه يكون بعد هذا الذي ترون إلا أشد مما ترون، يا ابن رسول الله، إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا

قبل لنا به، فقال الحسينﷺ: ما كنت لأبدأهم بالقتال » (الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٣٠٩؛ المفيد، الارشاد، ج٢: ٨٤)،لكن الطرف الخصم كان مصراً على بدء الحرب؛ كونه يؤمن بفلسفة الصراع والمادية في نظره هي الأساس في صناعة التاريخ والحفاظ على سلطته.

وعلى نحو أدق حدد الفيلسوف الفرنسي (١٨٤١م-١٩٣١م) غوستاف لوبون بأن العادات من أهم العوامل المساهمة في الرقي المجتمعي ونضجه نحو الوعي والتطور، حيث أن «العادات من العوامل الأساسية في استقراء المجتمعات فالأمة لا تخرج من الهمجية إلا بعد أن تخضع لنير العادة، وهي تعود اليها منذ فقدان عنصر الاستقرار هذا لقوته» (فلسفة التاريخ: ١٤٤).

المبحث الثالث

الإصلاح الحسيني فلسفياً

هناك العديد من الاحداث والمنعطفات سواء التاريخية أو الفكرية أو حتى الفلسفية وغيرها تشكل في فلسفتها ونظريتها مشروعاً إصلاحياً تغييرياً يمكن من خلاله تغيير حركة التاريخ والمجتمعات ونمطية حياتها وسلوكياتها بعد إجراء سلسلة من التطورات والإصلاحات فيها، ومن تلك النهضة الحسينية التي هي الاخرى شكلت فارقاً كبيراً في ميزان الاحداث التاريخية لما افرزته من نتائج على المستويات كافة وتحديداً في المجال التقدمي والتطوري الإنساني والحضاري معاً عبر ما قام الإمام الحسينﷺ آمن إصلاحات من شانها أن تعيد للمجتمع الإسلامي صواب رشده وصحة تفكيره وإنسانيته وتجعله في الطريق الإنساني التقدمي والاتي فقدها بلا شك في ضوء الفلسفة التي تبنتها السلطة الحاكمة الأموية آنذاك، مما جعلت منه مجتمعاً مسلوب الارادة والتفكير مما سببت اعاقته نحو التقدم الإنساني والتطوري ايضاً حيث عمدت السلطة الحاكمة إلى تجهيل المجتمع بشتى الطرق والاساليب وسلب لباب تفكيره وهذه احدى أهم العوامل التي تعيق التقدم الحضاري وهذا ما اشار إليه الفيلسوف الفرنسي تيودور جوفروي (١٧٩٦ـ١٨٤٢م) من «أن الافكار هي العامل الرئيسي المسبب للتاريخ البشري والتطور الاجتماعي...» (بارنز، الكتابة التاريخية: ٢٧٢ـ٢٧٣)، وهذا ما أكده الإمام الحسينﷺ بضرورة تنمية الفكر والعقل وتغذيتها بالعلم والمعرفة لقولهﷺ «العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف التقوى والقنوع راحة الأبدان، من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك» (الحلواني، نزهة الناظر: ٨٨؛ الديلمي، اعلام الدين:٢٩٩)، وقوله أيضاً في توجيه المجتمع نحو مجالسة العقلاء والعلماء والابتعاد عن الجهل والتجهيل، ونص ذلك «من دلائل علامات القبول: الجلوس إلى أهل العقول. ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر. ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر » (ابن شعبة الحراني، تحف العقول: ٢٤٧).

وهنا يريد الإمامﷺ الاشارة إلى ثلاث حقائق علمية، الأولى أن مصدر المعرفة ومركزها هو العلم إذ بموجبه

تتحصل المعرفة، فيما ركزت الحقيقة الثانية على ضرورة الافادة من التجارب والخبرات العلمية والاطلاع عليها وتوظيفها في تنمية العقل وتطويره كون تنمية العقل تنعكس على اكتساب الفضائل الأخلاقية

وعند دراسة تاريخ النهضة الحسينية والعوامل التي قامت من إجلها وما حققته من نتائج على المستويات كافة، نجدها تشير إلى تقدم الحركة التاريخية في تصحيح الانحراف الذي احدثته السلطة من جهة والتجهيل الذي أصاب المجتمع آنذاك وهي تسير بحركة تصحيحية تقدمية في المسار التاريخي الفلسفي وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام وهو يشخص لنا طبيعة هدف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة، والعمى والشك والارتياب إلى باب الهدى من الردى» (ابن قولويه، كامل الزيارات:٤٠١)، وعلى وفق فان عوامل تخلف المجتمع التي شخصتها الثورة الحسينية تتركز على محاربة الجهل والاضلال والشك وغيرها كونها تسبب تأخير المجتمع وبهذا فالثورة تريد تحقيق التقدم التاريخي نحو الأمام كما قال المفكر والفيلسوف الالماني يوهان جوتفريد فون هيردر (١٧٤٤-١٨٠٣م) في وصفه للتاريخ بأنه « زحف إلى الأمام» (ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢: ٤٥)، وفي ضوء ذلك شكلت الثورة الحسينية منعطفاً مهماً في حركة التاريخ ومن كل نواحيه واتجاهاته، كونها لامست الواقع الإصلاحي والاجتماعي فضلاً عن الديني والسياسي، وعند التدقيق في تفاصيلها نرى أنها كانت تهدف إلى الإصلاح الشامل والتقدم البشري في كل تفاصيله بل تسعى إلى الكمال البشري أيضاً عبر مجموعة من التغييرات ومعالجة الانحرافات بمختلف اشكالها

ومن الركائز الأسس التي أشار إليها الفلاسفة في البناء الحضاري والإنساني هي الأخلاق وضرورة تنميتها وتهذيبها، ومنهم المفكر الفرنسي غوستاف لوبون الذي يشير إلى»أن الأخلاق النفسية للعروق ذات ثبات عظيم، وأن تاريخ الأمم يشتق من هذه الأخلاق ، أوضحنا كيف يمكن للعناصر النفسية أن تتحول مع الزمن بتراكمات وراثية بطيئة كما تتحول العناصر التشريحية للأنواع، وعلى مثل هذه التحولات يتوقف تطور الحضارات إلى أبعد حدٍ...(لوبون، السنن النفسية لتطور الامم: ١٤٣) ويذكر أيضاً بأن «للأخلاق نفوذاً ذو سلطان قوي على حياة الأمم (لوبون، السنن النفسية لتطور الامم: ٥٠)، ويذكر أيضاً أن «أخلاق الأمة على الخصوص، لا المصادفة ولا الاحوال الخارجية ولا النظم السياسية هي التي تمثل الدور الأساسي في تاريخها...» (لوبون، السنن النفسية لتطور الامم:١٨٤).

وهنا نطرح تساؤلاً مهماً هل الأخلاق ركيزة مهمة في التقدم الحضاري؟، وهل جاءت الثورة الحسينية لتصحيح هذا المسار نتيجة التفتت الاجتماعي والأخلاق ي الذي بفعل السلطة نما واستشرى بالمجتمعات آنذاك أو أن المجتمعات آنذاك تسير نحو الفضيلة والكمال ولا حاجة للثورة آنذاك.

وللإجابة عن تلك التساؤلات نشير إلى بعض النصوص الروائية التي صورت لنا تلكم الاوضاع وبينت أن فلسفة الحكم الأموي تشير إلى تبني فلسفة الانحلال الأخلاق ي السلطوي إذ أدخلوا إلى المجتمعات الواقعة تحت سطوتهم الانحلال الأخلاقي المجون والفجور والفسوق، وممارستهم لتلك الرذائل، وهذا ما أشار إليه البلاذري بقوله: «كان يزيد بن معاوية أوّل من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتّخاذ القيان والغلمان والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة...»(انساب الاشراف، ج٥: ٢٨٦)،فيما سلط أبو الفرج الاصفهاني الضوء على الاوضاع الاجتماعية ومدى تفتتها وانتشار الرذيلة لاسيما في هرم وقمة السلطة السياسية آنذاك بقوله: «كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنّين، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون النّصرانيّ مولاه والأخطل، وكان يأتيه من المغنّين سائب خاثر فيقيم عنده، فيخلع عليه ويصله، فغنّاه يوماً:

يا للرّجال لمظلوم بضاعته

ببطن مكة نائي الأهل والنّفر

فاعترته أريحيّة، فرقص حتى سقط، ثم قال: اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها» (الاغاني، ١٩٢:١٧).

ولتسليط الضوء أكثر لابد من إيضاح ذلك من خلال ما أورده أحد الثائرين على سلطة الحاكم يزيد بن معاوية إذ علل فلسفة خروجه وثورته ضده قائلاً: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء أنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر، ويدع الصلاة...» (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣: ٣٢٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٢٨)، وتستمر حالة الانهيار الأخلاق ي، والقمع السياسي والاغتيال المجتمعي بسطوة القوة وقهر المجتمعات، ويستنتج هذا من خلال ما يتبناه عبد الملك بن مروان في فلسفة حكمة بقوله: «أما بعد فإني لست بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا بالخليفة المداهن يعني معاوية ولا بالخليفة المأفون يعني يزيد ألا واني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم وإنكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم وإنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه ثم نزل » (ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤:٣٩٢).

وعندما تنتقد السلطة السياسية نفسها وتعترف بفشلها في تقدم المجتمع وتغييره نحو الافضل وتبين مدى همجيتها السياسية أو الأخلاق ية على حد سواء، فهذا دليلاً واضحاً على مدى الترهل السياسي والاجتماعي الذي أصاب المجتمعات آنذاك واعاق تقدمها الحضاري، ونموها الإنساني، ويستشف هذا

من البيان الذي القاه معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ينتقد الطبقة السياسية بشدة ويحملها مسؤولية التدهور الاجتماعي والسياسي والأخلاق ي على حد سواء بقوله: « أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وان جدي معاوية ابن أبي سفيان نازع الامر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهنا بعمله، ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الامل، وقصر عنه الاجل، فقلت منعته، وانقطعت مدته، وصار في حفرته رهنا بذنبه، وأسيرا بجرمه. ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلد أموركم، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنما لقد نلنا منها حظا، وإن تكن شرا فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها...»، ولم يقتصر تبني تلك فلسفة على يزيد بن معاوية وحسب بل ذكر لنا الذهبي أن الوليد بن عبد الملك هو الآخر ساهم في تردي المجتمع وتحلله؛ بسبب ثقافته السيئة وسلوكياته المنحرفة نتيجة لما أشتهر عنه «الخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك» (تاريخ الإسلام، ج٨: ٢٩٤).

وللوقوف أكثر على طبيعة الحكم الأموي وسلوكياته المنحرفة أخلاق ياً أو سياسياً أو أداريـاً والتي بلا شك كانت سبباً في أنهياره وسقوطه، فقد سئل بعض شيوخ بني أمية عقيب زوال حكمهم وانتقاله إلى السلطة العباسية؟ قائلاً: « إنا شُغِلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تَفَقُّده يلزمنا، فظَلَمنا رعيتنا، فيئسوا من انصافنا، وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فتَخَلَّوْا عنا، وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا، فآثروا مرافقهم على منافعنا، وامْضَوْا أمورا دوننا أخْفَوْا علمها عنا، وتأخَّر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكَدِ أسباب زوال ملكنا» (المسعودي، مروج الذهب، ج٣: ٢٢٨).

وخلاصة لما تقدم نستنتج أن الطبقة السياسية الأموية الحاكمة آنذاك قد عملت على تفتيت البنى الاجتماعية والفكرية للمجتمع من خلال الترويج وممارسة الرذائل والقبائح التي من شانها تضعف المجتمع وتفككه وتجعله متأخرا من الناحية الإنسانية والحضارية، كما تجعل المجتمع يفقد وعيه الاجتماعي وتماسكه الخلقي، وهذا كله يعمل على تأخير المجتمعات حضارياً سواء على نحو مباشر أو غير مباشر، فضلاً عن الانهيار السياسي للدولة، وهذا ما يفسر لنا سر سقوط الدولة الأموية على نحو متسارع بسبب الانهيار والتحلل الخلقي في مؤسساتها ومرافقها العامة،على وفق ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: «إذا تأذن الله بانقراض

الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم...» (العبر، ج١: ١٤٤).

وقد حلل أمير المؤمنينعليه السلام ما ستؤول إليه الاوضاع تحت سطوة الأمويين إذ وصفهم بالفتنة التي سينتج عنها خراب البلاد والعباد وتراجع الاوضاع الحضارية في ظلهم بقوله: «ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، إنها فتنة عمياء مظلمة عمت فتنتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، يظهر أهل باطلها على أهل حقها، حتى يملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً» (الثقفي، الغارات، ج١: ١٠؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣:٢٨٧).

ثم بعد يسلط أمير المؤمنينعليه السلام الأضواء على فلسفة الأمويين المستقبلية آنذاك والتي تشير إلى اتباعها نوعاً من سياسة الاذلال والخنوع والعبودية للشعوب الواقعة تحت سيطرتها بقوله: «وأيم الله لتجدن بني أمية أرباب سوء لكم بعدي كالناب الضروس تعض بفيها وتخبط بيديها وتضرب برجليها وتمنع درها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا في مصركم إلا تابعاً لهم أو غير ضار، ولا يزال بلاؤهم بكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربه...»(الثقفي، الغارات، ج١: ١٠؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣:٢٨٧)، وفي رؤية فلسفية دينية يقدمها أمير المؤمنينعليه السلام في التنبؤ بسقوط الدولة الأموية نتيجة لأفعالها المنافية للإنسانية والتي مما لا شك أن تلك الرؤية كانت من أولويات الثورة الحسينية قائلاً:»وإن أول من يضع جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها الله رب العالمين..» (الثقفي، الغارات، ج١: ١٠؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣:٢٨٧)، أما من مدة بقاء الدولة الأموية في الحكم فقد حدد أمير المؤمنينعليه السلام باقتراب اجلهم واندحار سلطتهم على وفق لقوله: «فأقسم بالله يا بنى أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم، وفي دار عدوكم!» (ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧: ١١٧).

والان بعد اطلاعنا على أهمية الأخلاق في البناء الحضاري والتقدم الإنساني نطرح تساؤلاً مهما هل ثورة الحسينعليه السلام كانت في فلسفتها تصحيح انحراف الأخلاق في المجتمع آنذاك بفعل فلسفة السلطة، وبث روحها من جديد في المجتمع بعد أن فقدت رونقها بفعل فلسفة السلطة الأموية الحاكمة آنذاك وأن الثورة الحسينية جاءت لإحياء هذه الركيزة لتصحيح المسار الاجتماعي ليكمل تقدمه الإنساني والحضاري معاً، من خلال قراءة دقيقة لبعض عوامل الثورة نستشف هذه الفلسفة بكل وضوح ومن ذلك ما اشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في خطبته في اصحابه واصحاب الحر بن يزيد الرياحي وهو يعلل عوامل خروجه ضد السلطة الحاكمة آنذاك بقوله « أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على

الله إن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله...» (الطبري ، تاريخ، ج٤ : ٣٠٤).

ومن الجدير ذكره أن نشير إلى أن الإمام عليه السلام يريد أن يربط المجتمع آنذاك ويذكره بالرسالة المحمدية من خلال الاستدلال بحديث الرسول الاكرم (ص) الذي يوجب الخروج على السلطة السياسية الفاسدة وتغييرها، ولاسيما أنه عليه السلام من الناحية الدينية شخص مخالفتين مهمتين وأساسيتين وهما طاعة الشيطان وتعطيل الحدود الالهية من السلطة السياسية آنذاك، وما ينتج عنه من خلل في المنظومة الدينية العبادية في المجتمع، الأمر الذي يترتب عليه حصول فساد المجتمع أخلاق ياً واجتماعياً وعقدياً وهذا ما يعرقل فلسفة التقدم الحضارية؛ وذلك بوصف الدين وازعاً أساساً بحفظ وصيانة أخلاق المجتمع، وهذا ما ذهب إليه ول ديورانت بقوله: «أن الدين ضروري لحفظ الأخلاق ، وأن الأخلاق الفطرية وحدها دون وازع ديني أضعف من أن تقاوم الوحشية التي تتربص بالحضارة...»(دروس التاريخ: ٨٥).

كما وبين عليه السلام بأن إفساد السلطة للمجتمع كان دافعا لثورته (سلام الله عليه) مع عوامل أخرى ونص ذلك «تبا لكم أيتها الجماعة وترحا استصر ختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في إيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدو كم فأصبحتم البا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل اضحى لكم فيهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقا يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئي السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله الغدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثم شجا للناظر وآكلة للغاصب ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر...» (ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٩).

عند تفحص هذين النصين نستطيع أن نقول أن الإمام الحسين عليه السلام كان يبغي احداث إصلاحاً أخلاق ياً في المجتمع الإسلامي وانه حدد انحرافاً كبيراً في فلسفة المجتمع جراء متبنيات السلطة المنحرفة واساليبها اللاأخلاقية ية ومنها الاستبداد السياسي الظلم والذي نتج عنه الافساد بكل اصنافه بقوله وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفئ وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، كيف اظهروا الفساد لولا وجود تسلط سياسي وامكانات كبيرة ومنهجية قد اثرت في المجتمع

على نحو او باخر، وفي كلام الإمامعليه السلام دلالة واضحة على تفشي الفساد وانحلال الأخلاق في المجتمع والتي نتج عنها تعطيل الحدود، التي هي الاخرى ستؤثر على الاخلال بالمجتمع نتيجة احلال الفوضى الأخلاقية كون من مستلزمات تعطيل الحدود انتشار الفساد والظلم وعدم اقامة العدل وهذه جميعها بلا شك من معوقات التقدم الإنساني في المجتمع، زد على ذلك أن الإمامعليه السلام قد أشار إلى مسالة في غاية الاهمية ألا وهي الفقر والخلل الاقتصادي في المجتمع بقوله واستأثروا بالفىء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وهنا يريد أن يشخص الامام مدى استئثار السلطة بالموارد الاقتصادية على حساب المجتمع وهذا بلا شك يخلق طبقية اجتماعية مما يسبب تفكك المجتمع من خلال إحداث الفوارق الاقتصادية التي ينتج عنها الطبقية الاجتماعية التي تسبب فسادا اجتماعيا وانهياراً أخلاق ياً لما تفرزه من نتائج سلبية تهدد الكيان الاجتماعي والسلم المجتمعي معاً ويصبح المجتمع مفككاُ ومتحللاً أخلاق ياً كون الفقر يفسد البنية الاجتماعية ويضر بها، وقد أضرت السلطة آنذاك بالعامل الاقتصادي للمجتمع بفعل سياساتها وفلسفتها القائمة على أساس تفقير المجتمع واشغاله بتوفير سبل عيشه، عما يحيط به، وينمي فكره ويغذي روحه، وقد أشار المفكر روجيه غارودي إلى فلسفة هذا التفاوت المقيت واثاره الوخيمة في المجتمعات ونتائجه السلبية بقوله: «يؤدي التفاقم في التفاوت وعدم المساواة إلى انهيار المجتمع والحضارة»(حفاروا القبور:٧٢)، وهذا ما يفسر لنا فلسفياً تركيز الإمامعليه السلام على هذه العوامل والسعي لتصحيحها لما لها من مساس بالجانب المجتمعي والحضاري، والتي اشار إليها المفكر الجزائري مالك بن نبي من أن أنتشار حالة التحلل الخلقي والمجون والوصول إلى مرحلة تحكم الغريزة وسيطرتها تسهم على نحو أو أخر في أضعاف التقدم الحضاري لقوله: «يبدأ الأفول الحضاري بانتصار طور الغريزة على نفسية الفرد ومن ثم المجتمع، وبهذا الطور تكتمل دورة الحضارة في المجتمع وتنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية وتصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماماً في مجتمع منحل يكون قد دخل في نهاية التاريخ » (شروط النهضة،: ٦٩ـ٧٠).

وقد سلط أحد الباحثين الضوء على ما كان يعانيه المجتمع آنذاك من التدهور الاقتصادي قبيل ثورة الإمامعليه السلام والثراء السلطوي بقوله «وأنهار الاقتصاد الذي هو شرايين حياتها الاجتماعية والفردية فقد عمد الامويون على نحو سافر إلى نهب الخزينة المركزية والاستئثار بالفيء وسائر ثمرات الفتوح والغنائم، فحازوا الثراء العريض وتكدست ببيوتهم الاموال الهائلة، وقد أعلن معاوية أمام المسلمين أن المال مال الله وليس مال المسلمين فهو احق به ويقول سعيد بن العاص انما السواد بستان قريش، وقد أخذوا ينفقون الاموال على اغراضهم السياسية التي لا تمت بصلة لصالح الامة...»(القرشي، حياة الإمام الحسينعليه السلام، ج٢: ٢٧٨ـ٢٧٩).

ثم يزيد الإمامعليه السلام عاملين أخرين يسببان افساد

المجتمع وتحلل أخلاق ه وقد عمل الأمويون على تفعليهما اذ انهم أحلوا حرام الله وحرموا حلاله، ولا يخفى على أحد ما يتركه هذان العاملان من نتائج سلبية على المستويات كافة ولاسيما الأخلاق ية كون المنظومة الالهية وقوانينها الشرعية قد حرصت اشد الحرص على عدم اقتراف المحرمات لمساؤها واضرارها الجمة على المجتمع لذلك نوه عنها الإمام على نحو صريح وجعلها من موجبات ومبررات قيام نهضته الإصلاحية وفلسفته الاجتماعية.

ويشير الإمام الحسين عليه السلام إلى فلسفة عميقة في ضرورة التلطع إلى التقدم والتحرر من الخوف وكل قيوده وبواعثه، حتى وان كانت سلطوية سياسية بقوله ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، وهذه أشاره فلسفية أراد الإمام عليه السلام إيصالها إلى المجتمعات الشرية بضرورة التحرر الفكري من التسلط السياسي الظالم وعدم اذلال النفس مهما كانت الاسباب والمصاعب، وقد أشار ديورانت إلى هذه الحقيقة من أن التحرر من الخوف يسهم في سير الحضارة والتقدم الإنساني بقوله « إذا أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزهارها...»(ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج١:٣)، لهذا ركز الحسين عليه السلام تهذيب النفوس ورفض كل انواع الذل الاجتماعي أو حتى السياسي وإنما عمل عليه السلام على تربية المجتمع نفسياً وجعله أبياً غير ذليل وليبني النفوس قبل الابدان كي تفهم بناء الحياة وازدهارها وهنا يشير شارل برول (١٦٢٨ـــ١٧٠٣م) إلى ضرورة تحقيق الإصلاح الاجتماعي للوصول إلى مراحل متقدمة من التطور الإنساني بقوله «من المتفائلين في إمكان تحقيق الإصلاح الاجتماعي، وقد اعتقد أنه استطاعة البشر أن يصلوا إلى ذروة الكمال، ورأى السبيل لذلك هو استنارة عالمية وتعليم عقلاني، هذا إلى انه أعتقد في المساواة بين البشر وأن التفرقة القائمة عندئذ بمكن التغلب عليها بنشر التعليم والتربية...» (بارنز، الكتابة التاريخية: ٢٤٣).

لهذا أراد الإمام عليه السلام تحفيز وعي وتفكير المجتمع ليواصل مسيرته التقدمية الحضارية، وهنا التفاتة مفيدة لاحد الباحثين وهو يسلط الضوء على اوضاع المجتمع السيئة بفعل السلطة آنذاك بقوله «ولم تملك الامة في عهد معاوية ويزيد ارادتها واختيارها فقد كانت جثة هامدة لا وعي فيها ولا اختيار، قد كبلت بقيود ثقيلة سدت في وجهها منافذ النور والوعي وحيل بينها وبين اردتها، ولقد عمل الحكم الاموي على تخدير المسلمين وشل تفكيرهم...» (القرشي، حياة الامام الحسين عليه السلام، ج٢: ٢٧٨) ومن الجدير ذكره الاشارة هنا إلى تجربة إنسانية رائعة من تجارب الثورة الحسينية التي جسدت فيها المساواة بكل وضوح بين البشر وعدم التميز أو التفريق فيما بينهم سواء كان بلحظات عنصرية أو لونية أو حتى عرقية، ولنا في ذلك تجربة جون ذي الاصول السمراء مع الإمام الحسين عليه السلام ونص ذلك «ثمّ برز جون، مولى

أبي ذرّ، وكان عبداً أسود. فقال له الحسين عليه السلام: أَنْتَ في إِذْن مِنّي، فَإِنَّما تَبِعْتَنا طَلَباً لِلْعافِيَةِ فَلا تَبْتَلِ بِطَريقِنا. فقال: يا ابن رسول الله ! أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، والله ! إنّ ريحي لمنتن، وإنّ حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنّة، فتطيب ريحي، ويشرّف حسبي، ويبيضّ وجهي، لا والله ! لا أُفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثمّ قاتل رضوان الله عليه حتّى قتل...» (ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٤؛ ابن نما، مثير الاحزان: ٤٧).

من خلال هذا النص نستنتج أن هذه التجربة الحضارية الإنسانية تحمل رموزاً ودلالات كثيرة وعميقة في مفهومها الإنساني والفلسفي معاً وبعدها الحضاري، وتشير إلى فلسفة إنسانية، وهذا ما نادت به بل وسعى إليه مفكرو النهضة الاوربية حينما «ظهرت كرامة الإنسان مفهوماً محورياً في الأخلاق كموضوع إنسانوي...» (جاكلين روس، مغامرة العقل الاوربي:١٣١) جسدت فيها أروع الامثلة الواقعية في نبذ العنصرية العرقية واللونية التمييزية المقيتة التي سادت بين المجتمعات الشرقية والغربية سابقا (عاشور، التفرقة العنصرية: ٣-٢٢٥؛ لو، العنصرية والتعصب العرقي: ٣١-٤١٤) ومازالت بعض رواسبها حاليا التي بلا شك قد اسهمت على نحو أو بآخر في تفتيت المجتمع إنسانياً وأخلاق ياً وتأخرها حضارياً الذي اعاق تقدمه الإنساني والثقافي والأخلاقي، وما تركته تلك السلوكيات من نتائج سيئة نتيجة النظرة السلبية والمذابح والمعارك التي دارت بين افراد المجتمع بسبب تلك النظرة المحدودة والسلوكية المشينة، وقد جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام لتزيل ذلك العائق العنصري في المجتمع وتخلق منه مجتمعاً متساوياً بهذه الجزئية ولتنشر ثقافة المساواة بين افراده بغض النظر عن اللونية أو العرقية أو غيرها من المميزات التفاضلية غير الإنسانية ولا الحضارية، ولجعل الإمام الحسين عليه السلام تجربته تلك مناراً للمجتمعات اللاحقة في إنهاء والغاء هذه السلوكية المنحرفة ذات النتائج السلبية، وبهذا حققت الثورة بعداً فلسفياً إنسانيا كبيراً في حفظ كرامة واحترام المثل الإنسانية وازالت أحد عوائق التقدم الحضاري الإنساني وجسدت ذلك على أرض الواقع.

ومن المناسب هنا أن نورد تعليقاً لأحد الباحثين عن هذه الجزئية المفصلية في توضيح المضمون الإنساني والحضاري ودلالته ونص ذلك «لقد كان جون يعلم أنه أكرم على الحسين من ألوف البيض، وإن الحسين أكرم من أن يراه لئيم الحسب نتن الريح. لم يكن جون في الواقع يخاطب الحسين سبط محمد مكرم الزنوج، بل كان يقف على ذروة من ذروات التاريخ ليقول للأدعياء المفاخرين بالوانهم وأطيابهم، إليكم هذا الذي ترونه في نظركم لئيم الحسب نتن الريح، إليكم به اليوم يطاولكم شرفا وحمية وشجاعة ووفاء فلا تصلون إلى أخمص قدميه. منكم يزيد الأبيض اللون، المتحدر من عبد مناف، المضمخ بالأطياب، ومنكم عبيد الله بن زياد ومنكم شمر بن ذي الجوشن وحجار بن أبجر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج، منكم قبل هؤلاء وبعد

هؤلاء كثيرون، وكلهم يشع بياضا ويعبق طيبا، وكلهم يجر وراءه حلقات آباء وأجداد، أولئك غدروا بمحمد الذي أخرجهم من الظلمات، فداسوا تعاليمه وحشدوا الحشود على بنيه، أولئك يتهيئون الآن ليرفعوا رؤوس أبناء محمد على رماحهم. وهذا الزنجي وفى لمحمد الذي حرره وأكرم جنسه، فتقدم ليذودكم عن بنيه وبناته وتعاليمه، وهو يتهيأ الآن ليسفك دمه دون ذلك، فأيكم اللئيم الحسب، النتن الريح، الأسود الوجه؟ أأنتم أم هو؟ وحقق الحسين رجاء جون فأذن له، ومشى (جون) مزهوا ببطولته معتزا بوفائه يود لو أن عيني بلال الحبشي تراه في خطواته هذه، وأن زنوج الدنيا يطلون عليه ليروا كيف مثلهم في موكب البطولات وتكلم باسمهم على منبر التضحيات، وكيف شرفهم ساعة لا شرف إلا للنفوس العظيمة...»(الامين، مستدركات اعيان الشيعة، ج١: ٢٣).

وفي ضوء تلك المعطيات فقد تحركت ثورة الإمامعليه السلام لتصحح المسار الاجتماعي وتخلصه من قيوده السلطوية ليكون مجتمعاً قادراً على رسم حركته التاريخية والتقدمية، هذه أحدى نتائج الثورة التي كان يخطط لها الإمامعليه السلام سواء على المدى القريب أو البعيد، ويبدو أن فلسفة ثورة الإمامعليه السلام كانت تستهدف العامل الاجتماعي على نحو واضح؛ لما لهذا العامل من أهمية إصلاحية تغييرية كبرى حيث أشار المفكر غليز يرمان أن «الثورة الاجتماعية هي انقلاب جذري في مجالات الحياة...» (قوانين التطور الاجتماعي:٢٥)،وهنا يعلق أحد الباحثين على النتائج الاجتماعية الإصلاحية التي افرزتها ثورة الإمامعليه السلام وفلسفته التي كان يبغي تحقيقها في المجتمع بقوله «ثورة الإمام الحسين تمتاز من باقي الثورات بأنها كانت ثورة إصلاح وهداية لكل البشرية دون استثناء، إذ سعى الامام إلى بناء مجتمع إسلامي وإنساني متكامل، تسود فيه الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وتتحقق فيه العدالة والاخوة والحرية والمساواة وباقي القيم الإنسانية التي تحفظ حقوق وكرامة الإنسان، لذا قد أكد المؤرخون كما نقلت بعض المصادر، أن ثورة الإمام الحسين،هي أعظم ثورة إصلاحية عرفها التاريخ البشري على سطح الكرة الأرضية لأنها أحيت المبادئ والقيم المقدسة في نفوس وعقول الأجيال المتعاقبة...» (حمدان رمضان، الثورة الحسينية الإصلاحية وابعادها الإنسانية: ٨٥).

وفي ضوء فلسفته الجهادية الثوريةعليه السلام الرافضة لكل قيود ومحددات الذل والخنوع والتي بلا شك تعيق حركة التاريخ نحو التطلع والحرية الإنسانية وعدم الركون للعبودية بكل صورها وفلسفتها، قد قال كلمته الشهيرةعليه السلام التي نصها «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد... وقال: موت في عز خير من حياة في ذل.وأنشأعليه السلام في يوم قتله:

الموت خير من ركوب العار * والعار أولى من دخول النار «(الطبري، تاريخ، ج٤،:٣٢٣؛ المفيد، الارشاد، ج٢: ٩٨؛ ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج٣: ٢٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨: ١٩٤) وفي هذه اشارة واضحة إلى أن السلطة السياسية

آنذاك كانت تتبنى فلسفة سياسة الذل والعبودية في اخضاع المجتمع آنذاك ولاسيما من يختلف معهم فكرياً وسياسياً ودينياً لذا جاءت فلسفة الإمام﴿ع﴾ مندِّدة بكل تلك السياسات السلبية الرامية إلى تقيد حرية الإنسان واذلاله والتي بلا شك تعيق تقدمه الإنساني وتقيده بقيود فكرية سيئة تمس كرامته وإنسانيته.

وفي هذا الشأن ذكر أحد الباحثين أبرز الدروس المستفادة من هذه الكلمة التحررية التنويرية بقوله « ما أجمل الشجاع حينما يحتقر الطغاة الحقراء فيدخل النار في قلوبهم قبل نار جهنم وتعلم كيف تمارس عزتك في الحياة التي لست ولا عدوك من الخالدين فيها، وانظر دائما إلى البعيد وتحمل معاناتك الطارئة، لأنها جاءت لتنتهي، وأنت جئت لتبقى مع بقاء الحق إن كنت صابرا» (البحراني، أخلاق الامام الحسين﴿ع﴾: ٢٠٠)، ومن خلال تلك النصوص والتحليلات والآراء نستنتج أن ثورة الإمام الحسين﴿ع﴾هدفها أحداث الوعي المجتمعي وتخليصه من القيود الفكرية كي تبعث فيه روح التفكير والانطلاق نحو التقدم الإنساني والحضاري كما أشارنا إليه أنفاً.

ومن الجدير ذكره أن العامل السياسي المتعلق بالثورة الحسينية بوصفه أحد اسبابها ودوافعها هو الاخر كان في حسابات الثورة لتصحيح المسار وتوعية المجتمع كي تكتمل عوامل تقدمه الحضاري والإنساني معاً ولاسيما أن النظام السياسي الذي عاصره الإمام الحسين﴿ع﴾ كان نظاماً استبدادياً لا يشجع تكامل البناء الحضاري بل كان بينه وبين المجتمع بونا شاسعا وقطيعة واضحة ولم يكن هناك عقداً روحيا أو حتى مادياً فيما بينه وبين ابناء شعبه، مما شكل عائقاً حقيقياً نحو التقدم السياسي بوجه خاص والحضاري بوجه عام، من ثم لا يمكن للتطور الحضاري إن يسير بخطى متقدمة، وهذا ما أشار إليه المفكر ول ديورانت في تناوله لعوامل وأسباب صنع الحضارة الإنسانية وتقدمها وتناوله ماهية المحركات الأسس والجوهرية المشجعة والدافعة للتقدم الإنساني الفكري بقوله «الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ من حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزهارها...» (قصة الحضارة، ج٣:١).

لذلك يلاحظ أن الإمام﴿ع﴾ كان قد أستهدف النظام السياسي وانتقده بشدة محاولاً تصحيح مساره وخطواته وطبيعته بما يلائم التطور الحضاري والبناء الإنساني، فضلاً عن عدم كفاءة ونزاهة المتصدين له، فكانت أولى خطواته﴿ع﴾ رفض البيعة للنظام السياسي وانتقاد رموزه وقياداته بقوله: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله،ولكن نصبح وتصبحون

وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة «(ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف:١٧).

ومن اللافت للنظر أن فلسفة الإمام الحسين عليه السلام في رفضه للبيعة السياسية للحاكم الاموي آنذاك، لم تكن هي الهدف الاسمى أو الغاية القصوى التي كان يبغيها عليه السلام أو أن الرفض كان بدوافع شخصية ناتجة عن سلوكيات الحاكم يزيد بن معاوية آنذاك أو وجود عداء شخصي بينهما، وإنما تمحورت فلسفته عليه السلام بالرفض نتيجة؛ لما سيؤول إليه مستقبل المجتمعات الواقعة ضمن دائرة حكمه، وما سينتج عنها من نتائج تعيق تقدم تلك المجتمعات كون الحاكم غير مؤهل لقيادتها، ويستنتج ذلك من خلال خطابه عليه السلام للسلطة آنذاك بقوله: «إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد...» (ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥: ١٧).

فضلاً عن ذلك فقد شخص الإمام عليه السلام الاساليب السياسية الدنيئة على وفق نظرية الغاية تسوغ الوسيلة المكيافيلية التي مارستها السلطة الأموية بزعامة معاوية بن أبي سفيان وتنصله عن وعوده ومواثيقه السياسية الأخلاقية وذلك بسلب السلطة الشرعية من أصحابها وممارسة الكذب السياسي، وهذا ما وضحه عليه السلام في خطبة له جاء فيها «أني لا أبايع له أبدا، لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع وحلف لأخي الحسن أنه لا يجعل الخلافة لأحد من بعده من ولده وأن يردها إلي إن كنت حيا، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يف لي ولا لأخي الحسن بما كان ضمن فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به، أنى أبايع ليزيد ويزيد رجل فاسق معلن الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول ! لا والله لا يكون ذلك أبدا» (ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج١٣ :٥)

من خلال ذلك نستشف أن الإمام عليه السلام قد شخص الخلل السياسي في أصل النظام آنذاك وسلطته العليا المتمثلة بيزيد بن معاوية في عدم اهليته لإدارة الحكم، وعلى الرغم من توفر البديل بشخصه عليه السلام، حيث أنه قارن بين البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية ليزيد وله عليه السلام لإدارة الحكم فحدد المعايير والاسس فيما بينهما فكانت جميعها بصالحه عليه السلام وافتقاد يزيد له كون استمراره بالحكم سينتج اثار سلبية تعيق التقدم الحضاري على نحو او اخر، لما كانت النظم السياسية احد اسباب التقدم الحضاري وان واقع النظام السياسي الاموي آنذاك لا تتوافر فيه الشروط الموضوعية والاجتماعية السليمة فعليه سيؤثر في التقدم الحضاري السياسي آنذاك، ولاسيما أن الإمام الحسين عليه السلام كان يستهدف إصلاحاً شاملا للأوضاع وعلى رأسها السياسي بوصفه أمام المسلمين ومعني بشؤونهم السياسية والإصلاحية وما يشاهده من انحرافات سياسية لا يمكن السكوت عليها، ولتسليط الضوء أكثر عن هذه المسألة لابد من إيراد المحاورة بين الإمام الحسين عليه السلام ومروان بن الحكم أحد منظري ورموز الناظم السياسي آنذاك « فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله ! إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد، فقال

الحسين: وما ذلك قل حتى أسمع ! فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنه خولك في دينك ودنياك، قال: فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق! لقد قلت شططا من القول يا عظيم الزلل ! لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله ﷺ وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله ﷺ لا يمكن له ولا منه [إلا] أن يدعو إلى بيعة يزيد. ثم قال: إليك عني يا عدو الله ! فإنا أهل بيت رسول الله ﷺ، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه » فو الله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به، قاتلهم الله بابنه يزيد ! زاده الله في النار عذابا» (ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥: ١٧).

ويمكن تفسير هدف الإمام عليه السلام الإصلاحي بأنه يشتمل على عدة من معطيات منها إصلاحات سياسية واجتماعية وفكرية أيضاً وكل تلك الإصلاحات لاشك تسهم في التقدم الحضاري للمجتمع، ونص ذلك «أني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا مفسدا ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الصلاح في أمة جدي محمد أريد آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر أسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو أحكم الحاكمين» (ابن شهر اشوب، مناقب ال أبي طالب، ج٣: ٢٤١).،وفي مناسبة أخرى بين الإمام الحسين عليه السلام معالم مشروعه الإصلاحي وانه يهدف منه إصلاحا عاماً ولكل الاحرار بغية تحريرهم من سطوة الظالمين، وبعيداً عن المزايدات السياسية أو الصفقات المشبوهة بل الهدف التعايش السلمي ومخاطبة الضمائر الحية كون أحد الإصلاح عاماً، وهذا ما أشار إليه المفكر جاكلين روس عندما كانت سلطة الكنيسة تقيد الحريات وتستبد بسطوتها بقوله « الإصلاح توجه إلى ضمير كل إنسان وليس إلى سلطة الكنيسة » (مغامرة الفكر الاوربي: ١١٦)، لذلك كان خطاب الإمام عليه السلام تاج لكل الاحرار آنذاك بعيداً عن القيود السلطوية التي تحجم الفكر الإنساني وتعيق تقدمه جاء ذلك في ضوء كلامه عليه السلام بقوله « للهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان ولا التماسا من فضول الحطام ولكن لنري المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في اطفاء نور نبيكم. وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير» (ابن شعبة الحراني، تحف العقول:٢٣٩).

وهاتان الاشارتان الإصلاحيتان تختصران كل مجالات التغيير الإصلاحي ويشيران إلى عموم عمل الإمام عليه السلام في إجراء الإصلاحات وبمختلف مستوياتها، وعند تحليل النصين أنفا الذكر نحصل على نتائج مفيدة منها:

١.أن الإمام﴿ع﴾ حدد سبب نهضته بانها إصلاحية وشاملة لمختلف مفاصل الحياة وكانت ردة فعل ضد الحكم الاموي الذي أعاق التقدم الإنساني سواء كان على نحو مباشر أو غير مباشر.

٢.أن فلسفة الإمام﴿ع﴾ في تطبيق مفهوم اشاعة ثقافة الاحسان لأبناء المجتمع وتصحيح مسيرتهم الأخلاق ية في ضوء الحركة الإصلاحية التقدمية لا ينحصر بالمفهوم الديني فقط بل مفهومه أوسع وأشمل من ذلك وتطبيقاته متعددة ومختلفة، وهو منهج إصلاحي على وفق منظور توظيفه الفلسفي للذين يطلبون ويسعون إصلاح المجتمعات وتحريرها من القيود المعيقة للتقدم الإنساني، بدلالة قول الإمام محمد الباقر﴿ع﴾ وهو يفسر لنا مفهومه وتطبيقاته فيقول» إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم و صكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم...» (الكليني، الكافي، ج٥: ٥٦)، يستشف من هذا النص أن هناك انهياراً أخلاقاً ي مجتمعياً قد حل بالمجتمعات آنذاك وجاءت الثورة الحسينية لتصحيحه، وفي الادبيات الثورية الفكرية نجد أن اغلب الثورات ولاسيما الإصلاحية تتحرك بفعل عوامل عديدة منها الانهيار الأخلاق ي بدلالة ما اشار اليه المفكر جاكلين روس وهو يتحدث عن النهضة الاوربية وسبب قيامها بقوله «تفتحت النهضة ليس فقط وسط وعي لازمة دينية بل في قبضة انهيار أخلاق ي...»(مغامرة العقل الاوربي: ١٣٠)، وهذا ما يفسر لنا تركيز الثورة الحسينية على المثل الأخلاق ية وتصحيحها في المجتمعات آنذاك.

ونستنتج من النص هذا أن الإمام الحسين﴿ع﴾ كان يسعى إلى تطبيق هذا المفهوم الشامل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفه منهاجاً للصلحاء الذين يريدون اعمار الارض ولا شك أن ثورة الحسين﴿ع﴾ من ضمن أولوياتها ومنهجها وفلسفتها هي اعمار الارض وبناء الإنسان وكلا الامرين هدفهما التقدم الإنساني والحضاري معاً، مثلما أشار المفكر جاكلين روس إلى ضرورة تفعيل قوة الإيمان بالسيد المسيح لإعطاء معنى للإنسانية عند طريق الإصلاح لقوله «يقود الإصلاح إلى فكرة أساسية وهي أن أدراك المسيح عن طريق الإيمان يعطي لوجود الإنسان معنى ويسكن الله فيه، وحده يمكنه نيل النعمة والفوز باليقين عن طريق إيمان قلبي عميق...»(مغامرة العقل الاوربي:١١٧)، لذا ركزت الثورة الحسينية على تفعيل فكرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقوية إيمان المسلمين آنذاك لأثبات إنسانيتهم التي سلبت بفعل التسلط الاستبدادي الأموي.

٣.لم يكن الهدف الأساس من النهضة الحسينية سياسي أو صفقات سياسية مشبوهة وقائمة على التنافس

السياسي بل كانت إصلاحية بالدرجة الأساس وتشمل ضمن برنامجها هذا الإصلاح السياسي، ومن بين أبرز خطواته تحرير المظلومين من قيود الظلم التي هي بلا شك تعيق التقدم الإنساني وتأخره عقود طويلة.

٤. الإصلاح شمل المجتمع الإسلامي عامة وليس فقط العراق أو مناطق محددة بعينها مما يمنح النهضة من الناحية الجغرافية بعداً واسعا ليشمل المجتمع الإسلامي بصورة عامة دون تضيقه أو تحديده ببلد أو رقعة جغرافية معينة.

٥. أن جزء من فلسفة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية تعتمد على إعادة التجارب الإصلاحية السابقة التي اجراها جده رسول الله صلى الله عليه واله أو والده الإمام أمير المؤمنين إبان مدة حكمه اذ قام عليه السلام بسلسلة من الإصلاحات سواء الادارية أو السياسية أو حتى الاجتماعية (للوقوف على تفاصيل تلك الإصلاحات، ينظر، الدراسات الاتية: فلسفة الإدارة في فكر الامام علي عليه السلام، بحث منشور للباحث الدكتور حسين رحيم عزيز، و الإمام علي عليه السلام ونظرياته في الخراج، للباحث رضا صاحب، والمؤسسة الإصلاحية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام للباحث علي سعدون عمران).

٦. قد يتبادر إلى ذهن القارئ للوهلة الأولى بان إصلاح الإمام الحسين عليه السلام كان ديني فقط وهذا غير صحيح إذ أشار عليه السلام إلى إصلاح عدة مفردات منها اجتماعية واقتصادية أشرنا إليها في هذه الدراسة أنفاً، زد على ذلك قولهُ أسير بسيرة جدي وأبي عليهما السلام وهنا نتساءل هل إصلاحات جده وابيه كانت فقط دينية أم مختلفة وشاملة للعديد من جوانب ومرافق الحياة، وعليه فتكون الإصلاحات التي تحدث عنها الإمام الحسين عليه السلام والتي خرج من اجلها، مختلفة ولم تقتصر على الإصلاحات الدينية حسب.

٧. وضمن فلسفة الإمام الإصلاحية هو تفتيت واضعاف قوي الظلمة على وفق تعبيره عليه السلام، ومن المسلم علمياً وحضارياً أن سطوة الظلمة وانظمتها وسياساتها تعيق التقدم الإنساني الذي أحد صوره الحرية الفكرية والعقدية وتفعيل القيم الإنسانية والتربوية والتعليمية وهي بلا شك تتقاطع وتتعارض مع منهج الحكم الاموي وسياسته العسكرية والسياسية التي تهدف إلى فرض جبروتها بقوة السيف واستعباد الشعوب بهدف استنزافها وتفريغها من محتواها التحرري والفكري، وهذه النقطة الجوهرية التي أكدها الإمام الحسين عليه السلام فقد أكدها شارل كريستيان فردريك كروز (١٧٨١ ـ ١٨٣٢م) في كتابه الفلسفة العامة للتاريخ «من أن البشرية تمر بمراحل التطور من المفيد جداً مقارنتها بحياة الإنسان ومنها عصر الحرية وقد زالت فيه كل سلطة خارجة على العقل، أما العصر الثالث فهو عصر البشرية فهو ذلك العصر الذي يسيطر فيه الإنسان على كل من الطبيعة والمجتمع وبذلك تتحقق وحدة كل الشعوب في دولة عالمية عظيمة يسودها

الرخاء»(بارنز، الكتابة التاريخية:٢٧١).

٨.حركة الإصلاح في ضوء النصين المذكورين أنفا هي حركة تدفع إلى التقدم وخطواتها في التاريخ الإنساني خطوات تقدمية صاعدة متجهة إلى الغايات من الخلق، وعليه فإن الإصلاح الحسيني سيبلغ أقصى مداه دون أن يحدد زماناً أو مكاناً ولربما سيستمر إلى قيام الإمام الحجة المهدي المنتظر عليه السلام الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، كون المشروع المهدوي أيضاً مشروعاً إصلاحياً عالمياً، وعليه فالحركتان الحسينية والمهدوية المستقبلية يتفقان بأصل التحرك ونتائجه وغاياته وهو تحقيق الإصلاح الشامل مع اختلافات في بعض الاليات والارهاصات.

٩.أن الخصائص الخلقية والصفات الشخصية للقيادة المتمثلة بشخص الإمام الحسين عليه السلام تؤهلها للنهوض بدورها الإصلاحي، على نحو لا تجعل حركتها الإصلاحية مجرد استبدال مستبد بمستبد آخر أو نظام منحرف بمنحرف آخر، كما يحصل في كثير من الثورات والانقلابات السياسية التي شهدتها البشرية في أماكن وأوقات مختلفة من تاريخها

وهناك تحليلاً قيماً لأحد الباحثين في تفسير معنى الإصلاح جاء فيه أن «من أهمّ التوجيهات والتحليلات لنهضته عليه السلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس معنى المعروف يقتصر على المعروف الفرديّ، ولا المنكر يقتصر على المنكر في الممارسة الفرديّة، بل هناك المعروف الإجتماعيّ والمعروف الفكريّ والعقائديّ، وهناك المعروف الاقتصاديّ والمعروف السياسيّ والمعروف الحقوقيّ وغيرها، والمنكر كذلك، منه السياسيّ والعقائديّ والفكريّ والاجتماعيّ والماليّ، وكلّ ما هو مبغوض شرعاً، فإنّه يتناول كلّ المحرمات في كلّ الأبواب، والمعروف يتناول كلّ الأوامر الشرعيّة وجوباً وندباً ورجحاناً في جميع الأبواب، كما أنّ المراد من الأمر بالمعروف ليس خصوص الإنشاء اللفظيّ، بل المراد منه الأمر حتّى باليد وباللسان وكذلك بالقلب، وهو أضعف الإيمان»(السند، الشعائر الحسينية: ١٩٧).

ومن المستلزمات الفلسفية الأساسية والجوهرية التي ركزت عليها نظرية التقدم هي فلسفة الحرية للمجتمعات البشرية، حيث لا يمكن إن يحصل التقدم الإنساني بلا حرية إنسانية وفكرية، وأن أي تعارض أو تصادم مع جوهر الحرية سينعكس على نحو أو اخر على التطور الحضاري والإنساني معا، لهذا نظر أغلب الفلاسفة والمفكرين إلى ضرورة توافر عنصر الحرية بوصفه شرطاً أساسا للتقدم والبناء الإنساني في مفهوم نظرية التقدم إذ «يعرف التقدم عند أصحاب نظرية التقدم بانه فلسفة متفائلة ترى أن الكمال البشري غير محدود، وان تاريخ البشرية يمر مسار تقدمي تتطور خلاله معرفة الإنسان، وتقترب شيئاً فشيئاً نحو الهدف النهائي للمجتمع البشري وهو تحقيق الحرية والكمال... »(الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ: ٢٤٨).

لهذا عد الفيلسوف الالماني ذو الاصول الفرنسية

فردريك أنسيون (١٧٦٦ـ ١٨٣٧م) الحرية شرطا جوهرياً للتطور الإنساني وأحد بواعثه ودوافعه التقدمية اذ «أعتبر... الإنسان كائناً قابلاً للكمال وهناك شرط جوهري للتطور الإنساني نحو الكمال، هو الصراع الدائم بين الضرورة والحرية وبين الجواني والبراني صراع الطبيعة مع الإنسان وبين الإنسان واخيه الإنسان، وبين الإنسان ونفسه...»(ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢:٦٤ـ٦٥)،فيما بين شارل كريستيان فردريك كروز (١٧٨١ـ ١٨٣٢م) في كتابه الفلسفة العامة للتاريخ «أن البشرية تمر بمراحل التطور من المفيد جداً مقارنتها بحياة الإنسان ومنها عصر الحرية وقد زالت فيه كل سلطة خارجة على العقل...»(بارنز، الكتابة التاريخية،:٢٧١)،وفي ضوء تلك الإشارات الفلسفية والتي تلزم التطور الإنساني بالحرية يلاحظ أن الحركة الحسينية هي الاخرى دعت إلى ضرورة الحرية حيث طالب المجتمع بان يكون حراً في حياته دون اي قيود وعوائق كي يستمر في مشواره التطوري الإنساني ونص ذلك في مخاطبة الحسين﷣ لخصومه من اتباع السلطة الأموية وانصارهم بقوله «ويحكم يا شيعة آل سفيان ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعوانا [كما] تزعمون...» (ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥:١١٧)،وفي مصادر أخرى بدلاً من عبارة «إن كنتم أعوانا» وردت «إن كنتم أعراباً» (ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ٧١؛ الشافعي، مطالب السؤول: ٤٠٢؛ الاربلي، كشف الغمة، ج٢: ٢٦٢).

ويمكن تقديم قراءة تحليلية لهذا الخطاب تتمثل في أن طلب الإمام﷣ الحرية لهؤلاء الخصوم بغية إعادة فكرهم ورشدهم إلى الصواب في اتخاذ قراراتهم كون فعلهم وسلوكهم في واقعة الطف لا ينسجم مع حرية الفكر والإنسانية معاً؛كونه بعيد جداً عن الفهم الإنساني واقرب ما يكون إلى الهمجية والعشوائية والعبودية المتمثلة بالخوف من السلطة أو الاغراءات المادية التي اتبعتها معهم تلك السلطة أو مقيدات أخرى حالت بينهم وبين حريتهم، مما نتج عن ذلك وحشية مفرطة لديهم جعلتهم لا يفرقون بين قتل الكبير والصغير وافعال أخرى غير إنسانية ارتكبوها في واقعة كربلاء، وفي مسألة الرجوع إلى الانساب جنبة أخلاقية عرفية حيث من صفات العرب الاصلاء الأخلاقية، عدم انتهاك النواميس الإنسانية والأخلاقية، وهي أشاره أخرى منه﷣ لإرجاعهم إلى رشدهم العقلي وتحكيمه بدلاً من الانسياق وراء الطغاة وغاياتهم الدنيئة واللا إنسانية، وهناك رأي لطيف لأحد الباحثين يفسر لنا تلك المقولة بقوله: « أنّ الحسين﷣ عندما شعر أنّ القانون والشرع لم يؤثّرا في هؤلاء الأعداء حاول إرجاعهم إلى الأُصول الأخلاق يّة فقال لهم: كيف تقومون بهذا الفعل المتناقض مع الأخلاق والإنسانيّة !؟» (السند، الحداثة، ص ٢٤٢).

الخاتمة وأهم النتائج المستخلصة

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج المفيدة والحقائق ويمكن اجمالها بجملة من النقاط الأسس والجوهرية: ـ

١.من أهم العوامل المسهمة في التقدم الحضاري على وفق أراء الفلاسفة الغربيين هما الدين والأخلاق وكلاهما كانا شعار الثورة الحسينية واركانها الأسس التي سعت إلى تفعيلها في المجتمع بكل الطرق والاساليب وهذا ما تناولناه بشيء من التوضيح في هذه الدراسة.

٢.أن مفهوم الإصلاح الحسيني مقارب لمفهوم الإصلاح الفلسفي الذي تبناه بعض الكتاب والفلاسفة والمفكرين الغربيين، مما يدلل على موافقة العقل للشرع.

٣.فلسفة مشروع الإصلاح الذي تبناه الإمام الحسين عليه السلام كان شاملاً لكل ما تعنيه المفردة تلك ولاسيما الجوانب الفكرية من خلال انتشال المجتمعات من الجهل والظلال والتفكك آنذاك واعادة وعيها إليها من خلال صدمة الثورة والدماء الطاهرة.

٤.لم يعتمد الإمام الحسين عليه السلام الاسلوب التدريجي في مشروعه التغييري وإنما اعتمد الثورة على نحو مباشرة؛ وذلك كون الوضع آنذاك تحتاج تغييراً شاملاً ولا ينفع معه الإصلاح التدريجي فضلاً عن تعقيد الاوضاع وسطوة الدولة الأموية واحكام سيطرتها آنذاك.

٥.وجود تقارب منهجي وفلسفي بين نظرية التقدم الغربية والثورة الحسينية في المضامين والاهداف والغايات مما يعني سبق الحسين وعمق الفكر ودقة المنهج وبعد النظر وحضور التخطيط في قادة الثورة الحسينية وأسسها الرامية لبناء الإنسان والمجتمع معاً، فضلاً عن ذلك أن الثورة الحسينية قد عملت على معالجة العوائق التي تقف بوجه التقدم الحضاري وتعيق تطوره مما يعني أن هدفها كان حضارياً بالدرجة الأساس.

٦.من أهم أسباب الثورة الإصلاحية الحسينية هو التفتت الاجتماعي والتحلل الخلقي الذي تبنته الطبقة السياسية الأموية الحاكمة آنذاك للمجتمعات الواقعة تحت سلطتها من خلال ما كانت تروج له في ممارسة الرذائل والقبائح فضلاً عن الانحلال الخلقي التي بلا شك كانت تلك الممارسات والاساليب تسهم في تضعف المجتمع وتفككه وتجعله متأخراً من الناحية الإنسانية والحضارية وهذا ما خلق لها حركة مضادة واستجابة سريعة للمعالجة وهي الثورة الحسينية.

٧.وفي ختام النتائج لابد من الاشارة إلى أن استجابات الحركة الإصلاحية الحسينية سواء أكانت الفكرية أو السياسية أو غيرها كانت بمستوى التحديات التي واجهتها، وهذا ما يفسر لنا سر نجاح الثورة على الصعيد الحضاري وتفاعل المسلمين معها على مر العصور والازمان.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً / المصادر الأولية

ابن أعثم، أبو محمد احمد بن أعثم الكوفي (توفي بعد ٣٥٠هـ/ ٩٢٦م).

١. الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء، (بيروت: ١٩٩١م).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م).

٢.٢ انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، (د. ت).

الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م).

٣.الغارات، تحقيق: جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن، (قم: د. ت)

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/ ١٤١٠م)

٤.العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار احياء التراث العربي، (بيروت ـ د.ت)

الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦ م).

٥.الاغاني، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ/ ٩٨٣م)

٦.الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة – (قم المقدسة ـ ١٤١٧هـ).

ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٥م).

٧.التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عبّاس و بكر عبّاس، ط١، (بيروت ــ ١٩٩٦م).

الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

٨.تاريخ الرسل والملوك تحقيق (نخبة من العلماء) مؤسسة الاعلمي (بيروت- ١٩٨٣).

ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).

٩.اللهوف على قتلى الطفوف،ط١، (قم المقدسة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م).

١٠.تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت ـ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م).

القاضي النعمان أبو حنيفة النعمان محمد بن تميم المغربي(ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

١١.شرح الأخبار في فضائل ألائمة الأطهاراً تحقيق: محمد الحسيني الجلالي ط٢ مؤسسة النشر الإسلامي (قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

ابن قولويه، أبو القاسم، جعفر بن محمد (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م).

١٢. كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط١، (قم المقدسة ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

١٣.البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري،ط١، دار إحياء التراث العربي(بيروت ـ١٩٨٨ م).

المسعودي، ابو الحسن، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

١٤.مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط٣، دار الهجرة،(ايران ـ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤م).

مسكويه أبو علي أحمد بن محمد الرازي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣١م)

١٥.تجارب الأمم،تحقيق أبو القاسم إمامي،ط٢ دار سروش،،٢٠٠١م.

المفيد، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).

١٦.الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث،ط٢ دار المفيد،(بيروت، ١٩٩٣م).

ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٧م)

١٧.مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان، (النجف الاشرف ـ ١٩٥٠م)

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ/ ٨٩٤م).

١٨. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت: د.ت).

ثانياً/ المراجع العربية

البحراني، عبد العظيم المهتدي،

١.من أخلاق الامام الحسين، ط١، (قم ـ ٢٠٠٠م)

السند، محمد

٢.الحداثة، العولمة، الارهاب، في ميزان النهضة الحسينية، تحقيق: الشيخ علي الأسدي، ط١، (ايران -٢٠٠٦م)

٣.الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، دار الغدير، (ايران -٢٠٠٣)

الأمين، حسن.

٤.مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت ـ ١٩٨٧م).

نبي، مالك

٥.مشكلات الحضارة (شروط النهضة)، ط٤، دار الفكر، (دمشق -١٩٩٢م)

اليافي، نعيم

٦.حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة، ط١، مركز الانماء القومي، (دمشق -٢٠٠٠م)

ثالثاً/ المراجع الاجنبية المعربة

بارترسون، توماس ـ سي

١.الحضارة الغربية الفكرة والتاريخ، ترجمة: شوقي جلال، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠١م.

بارنز، هاري إلمر

٢.تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، (مصر ــ ١٩٨٧م)

بوبر، كارل

٣.من فلاسفة السياسة في القرن العشرين، ترجمة وتقديم: د. نصار عبد الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ديورانت ول واريل

٤.دروس من التاريخ، ترجمة: يوسف ربيع، عصير الكتب للنشر والتوزيع، (القاهرة ـ٢٠٢٠م)

٥.قصة الحضارة، ترجمة: د. زكي نجيب، تقديم: د. محي الدين صابر، دار الجيل، (بيروت -١٩٨٨م)

٦.قصة الفلسفة، ترجمة: الدكتور فتح الله المشعشع، ط٦، (بيروت -١٩٨٨م).

روس، جاكلين

٧.مغامرة الفكر الاوربي (قصة الافكار الغربية)، ترجمة: امل ديبو، مراجعة: د. زهيدة درويش،

زندكولر، هنس

٨.المثالية الالمانية، ترجمة: ابو يعرب المرزوقي، فتحي

المسكيني، ناجي العونلي، ط١، (بيروت ــ ٢٠١٢م)

غارودي، روجيه

٩. حفارو القبور (الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها)، ترجمة: عزة صبحي، ط٣، دار الشرق، (مصر -٢٠٠٢م)

غليز يرمان

١٠. قوانين التطور الاجتماعي طبيعتها واستخدامها، (موسكو ــ ١٩٨٣م)، دار التقدم.

لوبون، غوستاف

١١. فلسفة التاريخ، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر ــ ١٩٥٤م) دار المعارف

١٢. السنن النفسية لتطور الأمم،، ترجمة: عادل زعيتر، ط٢، (مصر ــ١٩٥٧م)

لوو، إيان،

١٣. العنصرية والتعصب العرقي من التمييز إلى الابادة الجماعية، ترجمه: عاطف معتمد واخرون، ط١، (القاهرة -٢٠١٥)

ميد، هنتر

١٤. الفلسفة انواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، ط٢، دار النهضة، (مصر - ١٩٧٥م)

هوايتد، الفرد نورث

١٥. كيف يتكون الدين، ترجمة وتقديم: رضوان السيد، ط١، (بيروت ــ ١٩١٧م) الجداول للنشر والترجمة والتوزيع.

ويد جري، البان.ج.

١٦. التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، مصر.